الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة

كلّية الآداب والحضارة الإسلامية

الملتقى الوطني: الخطاب التعليمي عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في ضوء اللسانيات المعاصرة.

عنوان المداخلة: الخطاب التعليميّ في البلاغة النبويّة عند عبد الحميد بن باديس–قراءة تداولية في كتاب مجالس التذكير من حديث البشير النذير–.

اسم المشارك ولقبه: بشار بوقرة

الرتبة العلمية: طالب دكتوراه

التخصّص: لغة عربية ودراسات قرآنية.

المؤسّسة: جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة

البريد الإلكتروني: pbacharbouguerra@gmail.com

رقم الهاتف: 0777354656

عنوان الملتقى الوطنيّ: الخطاب التعليمي عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في ضوء اللسانيات المعاصرة.

محور المشاركة: المحور الخامس:الخطاب التعليميّ عند جمعية العلماء المسلمين،والتداولية.

عنوان المداخلة:

الخطاب التعليميّ في البلاغة النبويّة عند عبد الحميد بن باديس–قراءة تداولية في كتاب مجالس التذكير من حديث البشير النذير–.

_ملخّص البحث باللّغة العربيّة:

لم تعد البلاغة تلك الدروس التعليمية بأمثلتها وقواعدها فقط ،وبفعل تطور الدّرس البلاغيّ واتساعه حتى شمل كل أنواع الخطابات ،ومنفتحا على مختلف المناهج والنظريات التي تهتم بتحليل الخطاب مثل التداولية التي تعمد إلى تحليل كل العناصر المساهمة في صناعة وتشكيل الخطاب البلاغيّ من معرفة حال المتكلم وأحوال المخاطبين،والقدرة على اختيار الألفاظ والمعاني وطريقة توصيلها في أحسن صورة للمتلقي بغية إقناعه ومحاججته،لتأتي هذه الورقة البحثية من أجل مقاربة تداولية للخطاب التعليمي في بلاغة الحديث النبويّ الشّريف عند عبد الحميد بن باديس، ومن هنا تمثّل هذه الدّراسة منارة مضيئة للباحثين لتناولها الجمال الفنّي في الدّرس الحديثيّ بألوانه المبدعة ودوره في تشكيل المعنى ضمن الصّياغة الكلّية للنّص .

_الكلمات المفتاحية:

التداولية–البلاغة النّبوية–الحديث النّبوي الشّريف–عبد الحميد بن باديس–خطاب تعليمي–مجالس التذكير من حديث البشير النذير.

Abstarct:

Rhetoric is no longer just educational lessons with examples and rules, due to the evolution of rhetorical discourse and its expansion to include all types of speeches, being open to various approaches and theories that focus on discourse analysis. Discourse analysis aims to analyze all the elements contributing to the

construction and shaping of rhetorical discourse, taking into account the speaker's situation, the audience's conditions, the ability to choose words and meanings, and the way to deliver them in the best possible manner to convince and persuade the recipient. This research paper aims at a discursive approach to educational discourse in the noble prophetic tradition of Abdul Hamid ibn Badis, serving as a guiding light for researchers to explore the artistic beauty in modern teaching with its creative colors and its role in shaping meaning within the overall composition of the text.

Keywords: Discourse Analysis, Prophetic Rhetoric, Noble Prophetic Tradition, Abdul Hamid ibn Badis, Educational Discourse, Reminder Sessions from the Hadith of the Bearer of Glad Tidings.

مقدمة:

تميّز الخطاب النّبوي الشّريف عن غيره من أنواع الخطاب في التأثير وتبليغ المعنى المراد وإصابة الهدف المنشود في التبليغ، وذلك بما خصّ الله نبيّنا محمد بقوة البلاغة والفصاحة، ليقويَ به حجته في مجابهة خصومه من عرب قريش، ونحن من بلاغة حديثه ننهل جمال العربية ورونقها، فقد بلغت فصاحته المنتهى، ومن خلال هذه الورقة البحثية نغوص معًا في بعض جماليات هذه الصور البلاغية بمقاربة تداولية عند أحد علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريّن عبد الحميد بن باديس.

وهذه المداخلة الموسومة:" الخطاب التعليميّ في البلاغة النبويّة عند عبد الحميد بن باديس-قراءة تداولية في كتاب مجالس التذكير من حديث البشير النذير-."،محاولة لإبراز بعض المظاهر التداولية للبلاغة النبوية في الخطاب التعليمي التي تسهم في تجديد الدّرس البلاغيّ في العصر الحديث حيث عمدت إلى جمع المادة البلاغية المتناثرة بين دفتي الكتاب ودراستها ومقارنتها بمباحث التداولية.

وتهدف هذه المداخلة إلى:

-خدمة البلاغة النّبوية التي لم تنل حظها من الدّراسة التداولية ومقاربتها بالمناهج اللسانية المعاصرة.

-معرفة مدى مساهمة العلماء الجزائريّن في تجديد الدّرس البلاغيّ من خلال جمعية العلماء المسلمين الجزائريّين.

-إضفاء الصبغة الحديثية على الدّرس البلاغيّ الحديث.

1-مفهوم الخطاب التعليمي:

1-أ مفهوم الخطاب:le discours

يعرّف الخطاب لغة كما ورد في لسان العرب الشّأن أو الأمر صغر أو عظم وقيل هو سَبَبُ الأثر، يُقال: ما خَطْبُكَ؟ أَي مَا أَمْرُكَ؟ وتقول: هذا خطبُ جَلِيل خَطبُ يَسير، والخطب: الأمر الذي تقع فيه المخاطبة، والشأن والحال؛ ومنه قولهم: جَلَ الخَطْبُ أي عَظُمَ الأمرُ والشَأْنُ. وجمعه خُطُوبُ؛ وخَطَبَ المرأةَ يَخْطُبُهَا خَطبًا وخِطْبَةٌ بالكسرَ،تَزَوَجُهَا، وجمع الخاطِبِ خُطَابُ. فالخطاب بذلك يعني تعظيم أو تصغير الشأن أو الأمر[1]. وفي معجم "مقاييس اللغة" لابن فارس "الخطاب " : « الكلام المتبادل بين

اثنين، يقال: خاطبه يخاطبه خطابا: والخطبة من جنس الخطاب ولا فرق، وفي النكاح الطلب أن يزوج، قال تعالى: "لا جناحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِكَاحِ والخطبة الكلام المخطوب به والخطب، الأمر يقع، إنما سمي بذلك لما يقع فيه من التخاطب والمراجعة "[2].

اصطلاحا:

لقد ورد لفظ الخطاب عند علماء الأصول بكثرة نظرا لكونه الأرضية التي استقامت عليها أعمالهم إذ عرفه الآمدي بقوله: "هو الكلام الذي يفهم المستمع منه شيئا، وهو غير مانع، فإنه يدخل فيه الكلام الذي لم يقصد التكلم به إفهام المستمع فإنه على ما ذكر من الحد وليس خطابا والحق إنه اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيء لفهمه"[3]. أي أن الخطاب هو اللفظ المتواضع عليه والقصد منه هو إفهام المتلقي.

أما عند الغربيين لم يحظ بتعريف، وذلك لاختلاف مناهج الدراسات اللسانية، فمن الباحثين من نظر إليه من ناحية شكلية، أي بمقارنته بالجملة التي يتجاوزها في الشكل والحجم، ومنهم من وصفه من خلال استعمال أي وحدة لغوية، وأخرون ذهبوا إلى وصفه بالملفوظ[4].

وقد أعطى ميشال فوكو (1926-1984م) مفهوما للخطاب وحدده بأنه" شبكة معقدة من العلاقات الاجتماعية والسياسية والثقافية التي تبرز فيها الكيفية التي ينتج فيها الكلام"[5].

ويأتي الخطاب على أنواع عديدة منها ما يرتبط بغرض الخطاب كالخطاب السردي والحجاجي والوصفي، وغيرها، ومنها ما يتعلق بنوع المشاركة كأن يكون حوارا أو مجرد مونولوج، وأخرى تتعلق بطريقة المشاركة المباشرة أو غير المباشرة، إلى جانب نوع آخر يتعلق بنوع قناة تمريره، كأن يكون خطابا لسانيا أوشفويا أو مكتوبا أو غير ذلك من الأنماط، ويلقى هذا الخطاب على المستمعين قصد التبليغ والتأثير[6].

1-ب مفهوم التعليمية Didactique:

لغة:يرجع التأثيل اللغوي لكلمة تعليمية للمصدر الصناعي لكلمة "تعليم"،فجاءت على صيغة المصدر الذي وزنه "تفعيل" وأصل اشتقاق تعليم من "علّم".

فقد وردت كلمة "علم" في لسان العرب؛ "من صفات الله عز وجل «العليم والعالم والعلّام، قال الله

عز وجل: وهو الخلاقُ العَليمُ وقال عَلام الغُيوب فهو الله العالم ، وقال عز وجل وإنما يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ ، فأخبر عز وجل أن من عباده من يخشاه وأنهم هم العلماء، وكذلك صفة يوسف عليه السلام كان عليما بأمر ربه... وروي عن ابن مسعود أنه قال: ليس "العلم" بكثرة الحديث ولكن العلم بالخشية ... وعلمت الشيء ، أَعْلَمُه عِلْمًا عَرَفته، وتقول علم وفقه أي تعلمَ وتَفَقَّه وعَلَّمَ وفَقْهَ أَي سادَ العُلماء والفقهاء والعلام والعلامة النسابة وهو من العلم، وقال ابن السكيت: العَلْمُ مصدر عَلَمْتُ شَفَتَه أَعْلَمُها علما والشفة علماء والعَلَمُ الشَّق في الشفة العليا والمرأة علماء وعَلَمَه يَعْلُمُه ويَعْلَمُه عَلْمًا وَسَمَهُ وعَلَّمَ نفسه وأعْلَمَها وسمها بسما الحرب والرجل معلم إذ عُلم مكانه في الحرب بعلامة أَعْلَمَها والعلامة السمة"[7]

فهي بذلك تعني وضع علامة أو سمة من السمات للدلالة على الشيء دون إحضاره.

اصطلاحا:

التعليمية ترجمة لكلمة Didactique التي أشتقت من كلمة Didactikos اليونانية والتي تطلق على نوع من أنواع الشعر يتناول شرح معارف أو تقنية (الشعر التعليمي)[8]. وكان يهدف إلى تسهيل التعليم عن طريق حفظ المعلومات المنظومة شعرا واستيعابها والاستشهاد بما عند الضرورة. وقد عدها" لالند 1988 فرعا من فروع البيداغوجيا موضوعه التدريس[9]. و عليه فإن التعليمية حسب "لالند" مرادف للبيداغوجيا.

و عرفها سميث" أب" (1962م) على أنها "فرع من فروع التربية ، موضوعها خلاصة المكونات والعلاقات بين الوضعيات التربوية، وموضوعاتها ووسائطها ووسائلها وكل ذلك في إطار وضعية بيداغوجية. وبعبارة أخرى يتعلق الموضوع بالتخطيط للوضعية البيداغوجية وكيفية مراقبتها وتعديلها عند الضرورة"[10]. وفي أبسط تعريف لها التعليمية هي الدراسة العلمية لطرق التدريس وتقنياته ولأشكال تنظيم مواقف التعلم التي يخضع لها التلميذ في المؤسسة التعليمية قصد بلوغ الأهداف المسطرة مؤسسيا سواء على المستوى الفعلي أو الوجداني أو الحسي وتحقيق لديه المعارف والكفايات على الوضعيات التعليمية التي يلعب فيها المتعلم الدور الأساسي، بمعنى أن الأستاذ دور هو تسهيل عملية تعلم التلميذ بتصنيف المادة التعليمية تصنيفا يناسب حاجات التلميذ وتحديد الطريقة الملائمة لتعلمه وتحضير الأدوات الضرورية والمساعدة على هذا التعلم.[11]

وعليه يمكن تعريف الخطاب التعليمي بأنّه خطاب يتم فيه تحويل المادة العلمية إلى خطاب ذو طابع تعليمي ويقدمه المعلم إلى المتعلمين في شكل مبسط، وهو متعلق بالمقام والمقاصد المراد تحقيقها.ويعتبر الخطاب التعليمي نوعا من أنواع التواصل اللغوي، وهو كلام مباشر أو غير مباشر،شفوي أو مكتوب ويلقى على المستمعين قصد التبليغ أو التأثير. وبحسب ديبوا Dubois:"خطابات الأساتذة هي تقريبا كلها تعليمية أو تربوية أي عبارة عن مجموعة مغلقة من الأسئلة والأجوبة التي يحاول من خلالها الأستاذ الحكم على المتلقين وقدراتهم الذهنية، وذلك أثناء تشكيل ملفوظاتهم التي تعكس مدى استيعابهم لملفوظات الأستاذ . والباقي عبارة عن تشكيل تعليمي للملفوظات العلمية"[12] وبناء عليه؛ يمكن القول أن الخطاب التعليمي هو خطاب تواصلي بالدرجة الأولى له قواعده الوظيفية في عملية التعليم، كما له لغته الفنية وشروطه كي يُحدِث أثرا لدى المتفاعلين (المعلم، المتعلم).[13]

2-المقاربة التداولية: Approche Pragmatique

تعتبر التداولية مدخلا من مداخل تحليل اللغة وهي رافد مهم من روافد اللسانيات الحديثة، يهتم بالبعد الاستعمالي أو الإنجازي للكلام، ويأخذ بعين الاعتبار المتكلم والسياق، كما تهتم بوصف استراتيجيات التخاطب اليومي، وتحليلها وبنائها في ظروف مختلفة، باتخاذ الكلام المنطوق موضوعا للدراسة والتحليل والذي ينجز في مقام معين كما قد تجاوزت التداولية مفهوم الجملة كموضوع للدراسة اللغوية، لتهتم بوحدة أكبر هي الخطاب باعتباره يمثل الشكل الطبيعي للتواصل.[14] بإسقاط هذه الرؤى التداولية على مجال تعليمية اللغة يؤدي إلى اكتساب المتعلم كفاية تواصلية موسعة، يستطيع من خلالها ممارسة اللغة في وظائفها الطبيعية الحية. فالمقاربة التداولية والتي تعرف أيضا بالمقاربة التواصلية كونها ترتكز على الجانب التواصلي في اللغة؛ فهي تمثل مجموعة الطرائق والمنهجيات التي تهدف إلى تطوير وتنمية كفاءة التواصل لدى المتعلم، وتتمثل في مرونة التكيف والانفتاح على مختلف السياقات التعليمية من طرائق ودروس تواصلية "أي القدرة على توظيف النظام اللغوي بكفاية وبصورة لائقة في وضعيات تواصلية"[15]

ومنه يمكن القول أن المقاربة التداولية تسعى بالمعلم إلى الاقتراب والدنو من المتعلم وتحقيق كفاءة تواصلية تبليغية من خلال فهم الخطابات والنصوص، فهما جيدا بهدف تنمية المهارات اللغوية لديه، كونها نظاما

مفتوحا يهتم بسياق الاستعمال وبالتالي فهي ترمي بتعليم المتعلم كيفية التصرف بهذه اللغة في وضعيات الخطاب الحقيقية، فيستطيع فهم وإنتاج كلام يطابق مقاصد وأغراض المشاركين في العملية التواصلية.[16]

3–آليات التحليل التداولي للخطاب التعليمي:

لقد تبنى التداوليون الخطاب كموضوع خارجي، أو شيء يفترض وجود فاعل منتج له علاقة حوارية مخاطب أو مرسل إليه.

ومن وجهة نظر الألسنية، فإن فكرة الفاعل ضرورية لمتابعة تحولات اللغة في الخطاب وعلى العكس من ذلك ما تراه من وجهة نظر العملية المتصلة بالفواعل المتكلمين التي ترى بأن اللغة ليست نظاما وحيد من الاتجاه، ولا الفاعل المتكلم وحده شخصية أو فردا معروفا في ممارسته القولية على الرغم من أن كلا اللغة والمتكلم يمثلان الأساس الضروري لنظرية اللغة والأسلوب، فالفاعل المنتج للخطاب يعد جوهريا في تحليل الخطاب.

إذ تعد لغة الخطاب بصفة عامة أساسا واقعيا وهاما في كل وضعية تبليغية، كما أنها وسيلة أسمى وأكثر تأثيرا، فهو يقوم على أسس علمية تخاطبية، كما أن التداولية تحاول الكشف عن المقدرة الإبلاغية التي تحققها العبارة اللغوية، فهي تدرس دلالة اللغة في الاستعمال، وقد انبرت الدراسة على وصف أفعال الخطاب وتفسيرها مرتكزة على مجموعة من الآليات وهي: الإشاريات

الافتراض المسبق، الاستلزام الحواري، الأفعال الكلامية، الحجاج... وغيرها.[17]

4–خصوصية الخطاب التعليميّ في الحديث النبويّ الشّريف:

إذا كان الخطاب هو كل منطوق، أو مكتوب يتوجه إلى المرسل عن طريق المتكلم، ليحقق هدفه في التواصل، فإن الحديث النبوي الشريف هو أيضا كلام منطوق صادر عن النبي صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى، في شتى المناسبات والأغراض في مقام معين عبر قناة ملفوظة، فالغاية من الحديث النبوي الشريف إنما هي غاية تبليغية تعليمية تهدف إلى تمكين مقتضى القول في نفس المتلقي وترسخ مبادئ الدقة مما يجعل منه خطابا تعليميا له خصوصية عن باقي الخطابات الأخرى، وتحدث عيد بلبع في

كتابه السياق وتوجيه دلالة النص عن هذه الخصوصية وعن الحديث النبوي الشريف باعتباره نمطا فريدا من النصوص، وقد حصرها في النقاط التالية[18]:

• **خاصية التفرد** :فالحديث النبوي الشريف نص موجز يعالج موقفا أو قضية كلية، أو جزئية معالجة تامة في كلمات قلائل، كما أنه خطاب كتابي وشفهي في آن واحد وهذا ما يحقق له خاصية التفرد.

•**خاصية الاطراد**: والذي يعني بها استواء النهج الأسلوبي في نسيج واحد متقارب، وغير متفاوت، في أساليبه، فالاطراد يعني الاطراد الانفرادي في الجمع بين هذه الغايات، باطراد دائم لا تقصده قاعدة مطردة كما ينفي عنه صفة الصدفة والتكرار.

•**خاصية الديمومة** : إذا كان الاطراد معيارا نوعيا، فإن الديمومة، معيار زمني، و الحديث النبوي الشريف موجه للشاهدين والغائبين.

أما الخاصية الرابعة التي تحدث عنها " عيد بلبع على أن الحديث النبوي الشريف خطاب تعليمي.

•**خطاب تعليمي** : فإذا كان الخطاب التعليمي، في النظرية البلاغية الغربية يمثل نموذجا للنمط المتدني من الأساليب كون أن أصحاب هذا الأسلوب واضحون و موجزون يشرحون كل شيء و يؤثرون الوضوح على الغموض، و يستخدمون أسلوبا مهذبا، ومركزا وخاليا من الزينة والزخرفة .فإن ما يميز الأسلوب التعليمي في الحديث النبوي الشريف، ما يفسر لنا مقولة (جوامع الكلم)

حيث يقول: "فتلك الجوامع تفسر الظاهرة الفريدة وتتفسر بها في الوقت نفسه"[19] فالحديث النبوي الشريف إنما هو خطاب تعليمي ونمط فريد من بين أنواع النصوص والخطابات في(تفرده، وديمومته، واطراده)، مما يجعلنا نقف أمام طرح معرفي جديد قبل أن نحلله، فالبلاغة النبوية لابد أن ينظر إليها على أنها" البلاغة الحقيقية، وليست بلاغة خيال وزينته لأنها هادفة إلى تمكين حقائق معينة في النفوس والقلوب، والعقول ساعية إلى إقرار منهج حياة وتقويم سلوك الأفراد والجماعة " [20]، لذلك يجب أن نراعي هذه الخصوصية، بهدف الكشف عن أسرار هذه البلاغة.

5- بيان مظاهر البلاغة النبوية عند عبد الحميد بن باديس من المنظور التداوليّ:

شرح عبد الحميد بن باديس بعض الأحاديث النّبوية في مجلّة الشّهاب تحت عنوان مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير وحديث البشير النذير وجمعت فيما بعد في كتاب-هو المعتمد في هذه الورقة البحثية- من مطبوعات وزارة الشؤون الدّينية فاقت الخمسين حديثا وأثرا حيث بيّنها عبد الحميد في أسلوب بديع جمع فيه بين الأسلوب العلميّ والأسلوب الأدبيّ والأسلوب الخطابيّ فكان قويّ العارضة ،بليغ التأثير في النّفوس،ماهرا في التصوير وحاذقا في التقرير،لاتعجزه عبارة ولايفوته مراد[21]،فكان يصوغ المعاني الغزيرة في الجمل القليلة النبيلة ،قد خرّجته بلاغة القرآن وفصاحة الحديث،والجيد من كلام العرب منظومه ومنثوره،ولعلّ أهمّ مامميّزه في تدريسه بل وحتى في كلامه المعتاد العربية الفصحى فلا يجنح للعبارات العامية ليستعين بها ولا الكلمات الدورية التي يعتادها بعض المدرّسين في كلامهم [22].

وأمّا أسلوبه في التّفسير والحديث فهو بأسلوب الأستاذ محمد عبده أشبه وأقرب وأبرز ميزاته فيها التطبيق والتحقيق وسوق العبر وصوغ العظات[23].

5-أ_منهج عبد الحميد بن باديس في شرحه للحديث النّبويّ:

يتمثّل منهج الشّرح في الخطوات الآتية:[24]

أ-تمهيد:يهيء القارىء لإدراك الموضوع الذي يعالجه الحديث النّبويّ أو ما يسمى بالافتراض المسبق ويسميه " طه عبد الرحمان"[25] الإضمارات التداولية Implicitation pragmatique وهو:"ذو طبيعة لسانية بمعنى أنه يتم إدراكه عن طريق العلامات اللغوية التي يتضمنها القول"[26] ويشكل خلفية ضرورية لنجاح العملية التبليغية، كما يرى التداوليون أن "الافتراضات السابقة" ذات أهمية قصوى في عملية التواصل والإبلاغ، فلا يمكن تعليم طفل أو راشد معلومة جديدة إلا بافتراض وجود أساس سابق يتم الانطلاق منه والبناء عليه، وقد يتجسد ذلك من خلال الحديث الذي يبدأ به الأستاذ بالتذكير بالدرس السابق باعتباره الأرضية التي يتم من خلالها التوصل إلى الدرس الجديد والولوج فيه؛ مثلا: الأستاذ بالتذكير بدرس الحصة الماضية الأفعال والأسماء باعتباره أرضية للولوج في موضوع الدرس الجديد الجملة الفعلية والجملة الاسمية وبهذا يكون الأستاذ قد استخدم مفهوم الافتراض المسبق لشرح درسه.[27]

كما تتمثل الافتراضات السابقة فيما يعرف في مجال الديداكتيك بالتمثلات والتي تستخدم لفهم النشاط الذهني للمتعلم وكيفية بنائه للمعرفة، فهي تلقي الضوء على طبيعة التصورات الذهنية القبلية لدى المتعلم فالافتراض المسبق يجعل الخطاب التعليمي يسير بصفة متسلسلة غير منقطع ومتماسكا.[28]

ب- السند : يذكر فيه الرجال الذين رووا الحديث ومصادره ورتبته العلمية والعملية.وترى المقاربة التداولية أنّ الحديث النّبويّ الشّريف خطاب تتعالق فيه بنيتان أساسيتان والتي من خلالهما يتحقّق الفعل التواصليّ الخالص،أولاهما البنية الخارجية وهو ما يمكن الإشارة إليه هنا بالسّند وتوثيقه من خلال تجلي الظروف الخارجية من عوامل سوسيو ثقافية ونفسية...

جـ-المتن : يتعرض فيه إلى ألفاظ الحديث وعباراته ، وإلى مختلف الروايات التي ترد بها بعض الأحاديث.

د-الألفاظ والتراكيب:يشرح ألفاظ الحديث شرحا لغويا يبرز معانيها ، في عبارات واضحة ، تساعد على فهم الحديث ، متعرضا - في بعض الأحيان - إلى ما يتصل ببعض التراكيب من قواعد اللغة وبلاغتها لمزيد من الإيضاح والبيان،فإيراده لمظاهر البلاغة النبوية كان بحسب مايقتضيه المقام مراعاة لحال المخاطبين وهذه الأخيرة تعني أن نأخذ بعين الاعتبار هوية المستمع اللغوية والاجتماعية، والثقافية، وأن نستحضر الظروف الموضوعية، وخصائصه النفسية والذاتية التي تحكمه، وتحدده فعلى المتكلم البليغ أن يأخذ بعين الاعتبار نوعية مخاطبه، ومجمل الظروف المحيطة به، قبل بناء خطابه، لأن الخطاب"يكون على قيد المستمعين، ومن يحضره من العوام والخواص"[29]،كما قال الجاحظ(255هـ): "وكلام الناس طبقات كما أن الناس أنفسهم طبقات والمتكلم البليغ لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة، ولا الملوك بكلام السوقة"[30]

هـ- المعنى : يعمد فيه إلى إيضاح المعنى العام للحديث يستوعب عناصره الأساسية، ويتعرض لمختلف الأوجه التي ترد بها بعض الأحاديث، في تركيز واعتدال.

و- استنباطات : يستنبط ما يرشد إليه الحديث النبوي من حقائق وأحكام وقيم مختلفة، نفسية وأخلاقية واجتماعية وتاريخية وتشريعية وكونية ؛ مطبقا ذلك كله على البيئة الجزائرية والأمة الإسلامية، والمجموعة الإنسانية ، على غرار منهاجه في تفسير القرآن الكريم.

قد أدرك ابن باديس عظم الحديث النّبويّ الشّريف في بلاغته فقال:"فاللّهم صلّ على هذا النّبي الكريم العظيم الرّحيم الذي علمته مالم يكن يعلم وكان فضلك عليه وعلينا به عظيما،فكم من علوم وأسرار انطوت عليها أحاديثه الشّريفة قد أتت على مالم تعرفه البشريّة إلّا بعد حين ،ولاعجب فهو الذي أوتي جوامع الكلم واختصر له الكلام اختصارا"[31].

5-ب_الأساليب البلاغية ودورها الحجاجيّ في الحديث النبويّ الشّريف:

الرّسول صلى الله عليه وسلم بصفاته وأقواله وأفعاله، حجة للمؤمنين، وهي ما سماها دارسوا الحجاج بالحجة السلطوية "أو حجة السلطة، والتي تعني وجود سلطة للشخص الذي يحتذى به"[32]، وهي حجة مؤسسة على بنية الواقع[33]، تستمد سلطتها من شخصية الرسول (صلى الله عليه وسلم)، فالمرسل يختار إستراتيجية مناسبة، وفقا لما تقتضيه سلطته، ومصادر هذه السلطة، إما أن يملكها المتكلم، ولها سبقا قبل التلفظ بالخطاب، أو أنه لا يمتلكها ولكنه يسعى لإيجادها في الخطاب ، فينظر فيها المتكلم في موقف قوي لا يرد له قول ولا ينفذ له رأي[34]، والرسول ، يمثل شخصية حجاجية بالنسبة للمؤمنين، من ناحية أنه أخذ سلطته الحجاجية من القرآن الكريم، وكل ما يصدر عنه من قبيل التشريع العام للأمة[35] ، ومن مقتضى العادة والخبرة في الحياة، والحال التي كان عليها الرسول صلى الله عليه وسلم (القاضي، المشرع ، يفصل في النزاعات.... استطاع من خلالها أن يؤسس لصورة الذات "الإيتوس"، كما استطاع أن يحافظ على صورة الإيتوس المتقدم فيبدو هذا جليا من خلال استدراج مخاطبيه، والتأثير فيهم، واستمالتهم.[36]

كما تشكل القيم والأخلاق التي كان عليها النبي صلى الله عليه وسلم قاعدة أساسية انطلق منها من أجل حمل المتلقي على الإذعان والاقتناع كما يقول (روبريو Robrieux) :"تشكل القيم [...] المتفق عليها بين المتكلم والمتلقي أساسا ينطلق منه الحجاج، إنها نقطة استدلال مقبولة من مجتمع ... إنها تمثل شكلا من الأشكال مواضع أخلاقية "[37] ، وهي عبارة عن مسلمات مقبولة وأراء مشتركة، ومعان متفق عليها، إذ يعتمد المحاجج إلى اختيارها وفق مقتضيات المقام لإيقاع التصديق في المتلقي، وحمله على الإذعان لدعواه [...] وقوام هذا الاتفاق المسبق أو المقدمات التي يصادق عليها المتلقي، القيم والمواضع.[38]

وتستمد الأحاديث النبوية جزءا من حجاجيتها باستنادها إلى مجموعة من القيم الرفيعة كالالتزام(بشرائع الدين، وحسن المعاشرة، والابتعاد عن الفحشاء والمنكر ...) والحجاج بالقيم إلى حجة أخرى مضمرة،

تندرج ضمن الأقوال المضمرة التي تستفاد من سياقها وهي الحجة بالقدوة" مما يفتح إمكانيات التأويل، التي تظل مفتوحة، سواء أمام المتلقي مع اختلاف السياق والمقام اللذان ينجز ضمنها الخطاب، ومن طبيعة القول المضمر، إذ كانت الطاقة الحجاجية للنص إذ يفرض على المرسل إليه الانخراط في عملية البناء، كما تقول روث أموسي: "إن المضمر يسهم في قوة الحجاج عندما يلزم المخاطب بإكمال العناصر الناقصة في الخطاب" لتتعاضد هذه الحجج كلها في غاية واحدة في الحديث النبوي الشريف وهي الإقناع.[39]

ويمكن اختصار ماقيل في المخطط التالي[40]:

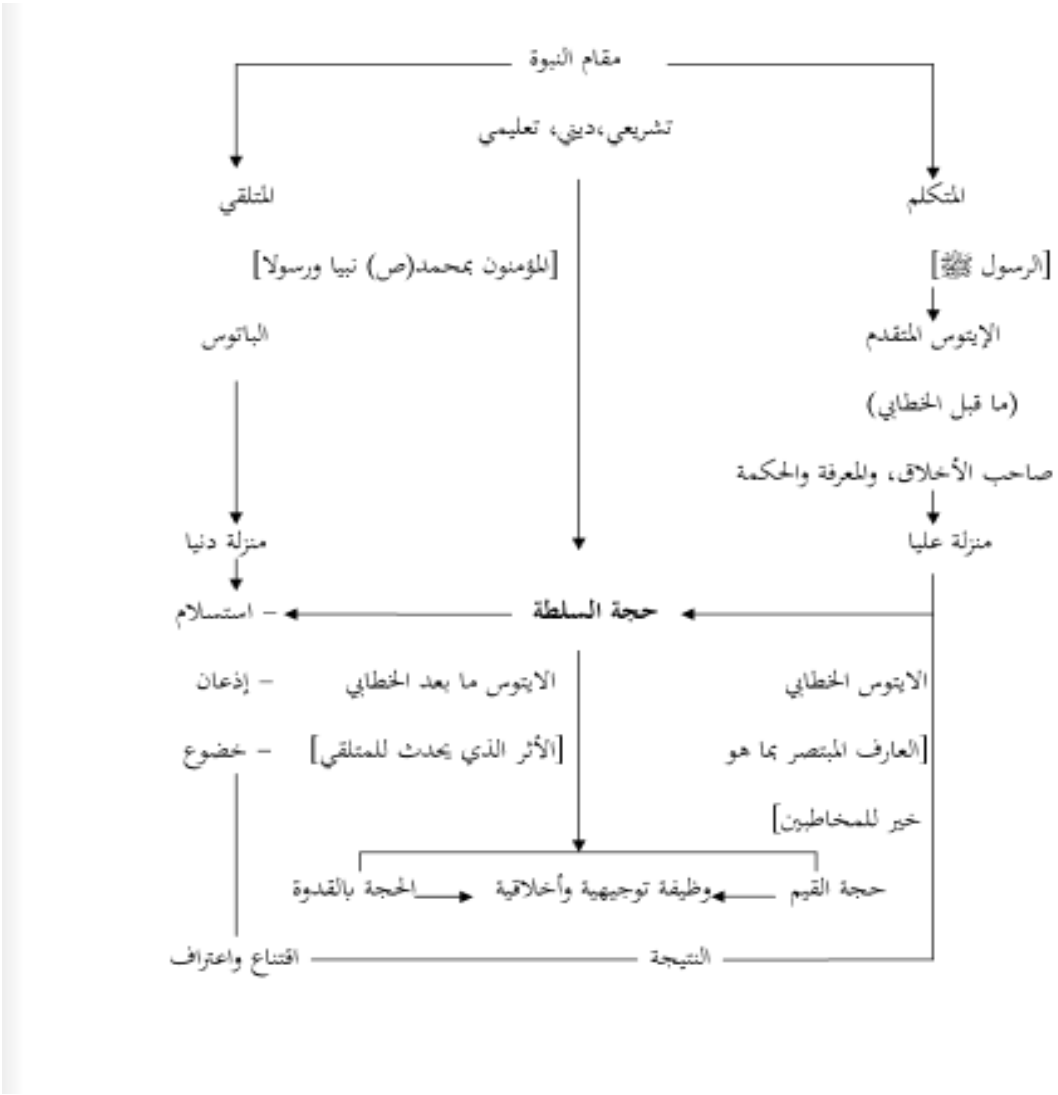

نستعرض في هذا المطلب بعض النماذج من البلاغة النبوية التي أبرزها عبد الحميد بن باديس من خلال شرحه للأحاديث النّبويّة :

أولًا:الحجاج بالبيان:

أ_التشبيه التّام:وذلك في حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :"(مثَلُ المؤمن الذي يقرأ القرآن مَثَلُ الأُتْرُجَّةِ: ريحها طيب وطعمها طيب، ومَثَل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمَثَلِ التمرة :لا ريح لها وطعمها حُلْوٌ، وَمَثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانَة :ريحها طيب وطعمها مُرٌّ، وَمَثَل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحَنْظَلَةِ :ليس لها ريح وطعمها مُرٌّ)"[41]متفق عليه،علّق ابن باديس على هذا الحديث تعليقا موجزا أبان فيه عن ذائقته البيانية الفذّة بقوله:"جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم طيب الطعام دائرا مع العمل،وجعل طيب الرائحة صفة للتلاوة والمجدي على المرء هو عمله،أمّا التّلاوة وحدها فإنّها لا تجدي..."[42]،ثمّ راح يقلّب تركيبا آخر للحديث لو قلّب لكان حشوا للمخاطبين تتحاشى عنه البلاغة النّبويّة وذلك في ربطه بين فهم القرآن والعمل به فلا يمكن أن يأتي الحديث على الصورة هذه:المؤمن الذي يقرأ القرآن ويفهمه ويعمل به"لأن ذكر الفهم حشو فالعمل ملازم للفهم وليسا منفصلين.وهذا من أسلوب التشبيه وضرب الأمثال وكان هذا بهدف توضيح المعاني التي يريدها أن تصل إلى المخاطب، ويريد بيانها بضرب المثل، ممايشهده الناس بأبصارهم ويتذوقونه بألسنتهم، ويقع تحت حواسهم، وفي هذا الأسلوب، تيسير للفهم على

المتعلم، وإستفياء تام سريع لإيضاح ما يعلمه، أو يحذر منه[43].وهو أحد الأساليب التعليمية في الحديث النبّويّ الشّريف.

ب_التشبيه البليغ: وذلك في حديث عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: "كنا في غزاة، قال سفيان مرة: في جيش، فكسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فسمع ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:"(ما بال دعوى جاهلية!، قالوا: يا رسول الله، كسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار، فقال: دعوها فإنها منتنة)"[44]،فبيّن أنّ العصبية الجاهلية منتنة وذلك بأنّها مكروهة في العقل والدّين ككراهة الشّيء المنتن في الشّم ومفرّقة للجمع كما يفرق النّتن بين المجتمعين،فأبرزها عليه الصلاة والسّلام في أقوى صورة تنفّر منها إبرازا للمعقول في صورة محسوس لأنّه أبلغ تأثيرا في السّامع ،وهذا في عرف البلاغيّين تشبيه بليغ حذف

منه أداة التشبيه ووجه الشّبه.[45], إن المتأمل في بلاغته ، يرى بأن التمثيل أحد عناصر هذه البلاغة، وهذا لما له من نصيب في تقريب الحقائق، وتشويق الخواطر وتحريك المشاعر وتبسيط الغوامض، وتمثيل المعقول في صورة المحسوس، وتجسيد المجرد في هيئة المنظور، قصد جلاء المعاني والإطاحة بأعماقها ،وأسرارها، في صورة كما يسمونه (السهل الممتنع) وما قل ودل، وهي أهداف من صميم الرسالة المحمدية، التي تستلزم بالصورة الإقناع، والإقناع رهين تقريب الحقائق، لأمة كانت لا تؤمن إلا بما هو محسوس[46] وهو ماأبرزه هذا الحديث.

ج_التشبيه المجمل:وذلك في حديث عن أبي موسى الأشعريّ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "(المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضا، ثم شبك بين أصابعه)"[47]،حيث ذكر ابن باديس أنّ الجملة الثانية استئنافية لبيان وجه التّشبيه حيث ذكر المشبّه وهم المؤمنون والمشبّه به البنيان وأمّا وجه الشّبه فقد بيّنه من خلال التضام والالتحام وذلك في قوله:" لقد قرر الحديث الشريف معنى الاتحاد الذي يجب أن يكون أفراد المؤمنين على أكمل وجه في التصوير ، وأبلغه بين جميع في التأثير ، فقد شبههم بالبنيان، وذلك وحده كاف في إفادة الاتحاد ، وزاد عليه التصريح بالشد والتقوية ليبين أن في ذلك الاتحاد القوة للجميع تأكيدا للزوم الاتحاد بذكر فائدته ، ثم زاد عليه التصوير بالمحسوس ، لما شبك . صلى الله عليه وسلم . بين أصابعه . هذا كله ليبين للمؤمنين لزوم الاتحاد وضرورته"[48]،وهذا بعد أن أردف حديثا آخر اختلف فيه المشبه به والمعنى واحد وذلك في قوله صلى الله عليه وسلم :"(مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)[49]".[50]فالقيمة الحجاجية لهذا التّمثيل القائم على علاقة المشابهة من إخراج المعقول إلى المحسوس بالتأمّل.

د_وهناك تشبيه مجمل أيضا في قوله صلى الله عليه وسلم :"(كمل من الرجال كثير ولم تكمل من النساء غير مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام)"[51]،لم يفصّل عبد الحميد بن باديس في هذا التّشبيه لأنه كان واضحا له ولغيره من الحضور.والسياق كان في بيان ضعف جنس المرأة.[52]،فبيّن ابن باديس فضل عائشة رضي الله عنه بصورة تمثيلية حين قارنها بالثريد وهو أطيب الطعام عند العرب آنذاك على غرار سائر أنواع الطعام،ولأنّ عادة الجزائريّين أيضا نفسها في تفضيل الثريد فقد كانت الصورة واضحة جلية في مخيلة الحضور لم تستدع مزيد

بيان وإيضاح.وهذا من مراعاة حال المخاطبين في مستويات السياق المقاميّ،فالسياق السوسيوثقافي للحديث النّبوي الشّريف أشار إلى ثقافة كانت سائدة في العصر الجاهلي عند العرب ومشابهة لها في الجزائر وقتها.

هـ_المجاز العقليّ:وذلك في حديث أبي هريرة رضي الله عنه :" (اتقوا اللَّعَّانَيْن قالوا: وما اللَّعَّانَانِ يا رسول الله؟ قال : الذي يَتَخَلَّى في طريق الناس، أو في ظِلِّهم)"[53] ،وشرح ابن باديس الحديث بلاغيا بأن اللّعانين هنا تعبير مجازي إذ اللّعن يصدر في الحقيقة من الإنسان ولما كان التخلّي في الطريق أو الظل لما كانا سببا في اللّعن سمّيا باللّعانين على سبيل المجاز وعلاقته السّببية وهو إسناد الفعل أو ما في معناه إلى سببه وهو مجاز عقليّ بتعبير الجرجاني(471هـ).[54]،وهوما يقابله بظاهرة الاستلزام الحواري في التداولية وظاهرة الاستلزام الحواري لم تكن غائبة في تراثنا البلاغي كيفية الظواهر الأخرى التي تناولتها التداولية فالقدامى والمحدثين من العرب، قد تناولوا هذه الأخيرة تحت مسميات عديدة، وفي علوم متعددة كالنحو والبلاغة، وأصول الفقه وغيرها.فأثبت وجود هذه الظاهرة عند البلاغيين القدامى، ولكن ليس بمسمى "الاستلزام" بل بمسمى "معنى المعنى"، كما أنهم ميزوا في استعمال العبارات اللغوية بين ما يسمونه، بالاستعمال على وجه الحقيقة والاستعمال على غير وجه الحقيقة؛ أي باعتبار بعض الأبنية أصولا، تستخرج منها أبنية فروع، ونقطة الفصل بين المعنيين الصريح والمستلزم؛ أن الأول تدل عليه العبارة بلفظها وأن الثاني تدل عليه العبارة

باستعمالها في موقف تواصلي معين .

و_الكناية عن صفة:وذلك أيضا في حديث اللّعانين حيث أنّ لفظ التخلي المأخوذ من الخلاء كناية عن موضع قضاء حاجة الإنسان من بول وغائط وبيّن عبد الحميد بن باديس أنّ إطلاق لفظ التخلّي على ذلك لأن الشأن أن تكون في الخلاء وليس على قارعة الطريق وظله وفيه أدب من آدابه.وهو ما تفسره التداولية أيضا بظاهرة الاستلزام الحواريّ في الأفعال الكلامية غير المباشرة[55]

ز_الكناية عن موصوف:وذلك في قوله صلى الله عليه وسلم :" (خير نساء ركبن الإبل صالح نساء قريش أحناه على ولد في صغره وأرعاه على زوج في ذات يده)"[56]،قال عبد الحميد بن باديس :ركبن الإبل كناية عن نساء العرب وقصد بها التعميم أي خير نساء العرب كلّهن".[57]،والسياق المقاميّ

هنا البيئة آنذاك حيث أنّ نساء العرب كانت تركب الإبل فلم يكن هناك داع لذكر نساء العرب لأنّ المرأة وقت الجاهلية ركوبها الإبل وإلّا عدّ ذكرها حشوا لا طائل منه.

ح_الاستعارة التصريحية:وذلك في قوله عليه الصّلاة والسّلام:"(إياكم والدخولَ على النساء، فقال رجل من الأنصار :يا رسول الله، أرأيتَ الحَمُو؟ قال :الحَمُو الموتُ)"[58]،قال ابن باديس:"الحمو الموت:تشبيه بليغ كزيد أسد،ثم استنبط لونا بيانيا بديعا آخر حين قال:"في الموت استعارة تصريحية ،وأخذ يفصّل فيها ،"شبّه فساد البيوت وخرابها وانحلال روابطها بالموت بجامع الهلاك والزوال في كلّ"،وأمّا هدف هذا التركيب فهو المبالغة في التحذير والبلوغ إلى غاية التأثير.[59]

وإذا كانت الدراسات القديمة الغربية تنظر إلى الاستعارة بمعنى "النقل" فإن في الدراسات العربية القديمة جاءت" بمعنى الادعاء " لدى عبد القاهر الجرجاني و هو ما ما يثبت وعيه المتقدم بحجاجية الاستعارة، كما أن حجاجية الاستعارة أيضا تكمن في التغيير الذي تحدثه في الموقف الفكري والعاطفي للمتلقي، وهي استحضار نوايا المتكلم، ومقاصده في علاقة تناسبية فيما يقتضيه السياق حيث يستنتج المتلقي المعنى عن طريق التخييل والتأويل والاستعارة الحجاجية تحتل المرتبة الأعلى في السلم الحجاجي.[60]

صرّح ابن باديس بوجود استعارة تصريحية أخرى وذلك في حديث:" كان للنبي صلى الله عليه وسلم حاد يقال له أنجشة، وكان حسن الصوت، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم :"(رويدك يا أنجشة لا تكسر القوارير)"[61]،حيث ذكر عبد الحميد بن باديس أنّ في الحديث استعارة تصريحية ومجازا في الوقت نفسه[62] ،فباعتبار الأولى أنّه شبّه النّساء بالقوارير بجامع الرّقة واللّطف والضّعف،وحذف لفظ المشبّه وذكر لفظ المشبّه به ،وكانت لفظة القوارير لفظة مجازية بالغة غاية البيان عن حالة النّساء ،وكان التّركيب بها غاية البلاغة باشتماله على ما اقتضاه حال الدّعاء إلى الرّفق مما صوّرهن بصورة تدعو إلى الرّفق وتستوجبه.[63]

ثانيًا : من فنون علم المعاني:

أ_أسلوب القصر ،وإيجاز الحذف: وذلك في حديث :" (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه)"[64] متفّق عليه ،حيث قدّر معتبرة محذوفا من بالنيات وضرب لذلك

مثالا بقولهم:المرء بأصغريه قلبه ولسانه أي معتبر بهما،والمرء بأدبه أي معتبر أو يعتبر به والباء سببية وإنما للحصر والمحصور فيه هو الجار والمجرور[65] فبيّن أنّ التركيب أفاد حصر اعتبار الأعمال في نيّاتها والمقصود بها لا في صورها ومظاهرها وهو أسلوب قصر.وإنّما من العوامل الحجاجية "إنما هي مركبة من "إن" ... و"ما" وتأتي لإفادة القصر، ويلجأ المتكلم إلى استعمال أسلوب القصر "إنما" حتى يحقق الغرض التخاطبي، كما يقول عبد القاهر الجرجاني: "اعلم أن موضوع" إنما" على أن يجيء بخبر لا يجهله المخاطب، ولا يدفع صحته؛ ولكن لمن يعلمه ويقربه"، لذلك نجدها تستعمل لما ينكره المخاطب، ولا يدفع بصحته، كما أن لها طاقة حجاجية في الخطاب كونها تقوم على علاقة الإثبات أي أنها: "تأتي إثباتا لما يذكر بعدها، ونفيا لما سواه"

والعامل الحجاجي "إنما" موجود في قول الله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِيَاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فمن كانت هجرته لله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة ينحكها ، فهجرته إلى مَنْ هَاجَرَ إِليه ، فهذا الحديث، يضع ميزانا قويا للإنسان المؤمن يبين فيه ما يجب أن يراعيه المؤمن في عمله؛ إذ الأصل في الأعمال أن يكون القصد سليما، فإذا صحت النية، فالرسول (صلى الله عليه وسلم) لما أراد بيان أثر النية الصادقة في الأعمال ودورها الجوهري في صلاح الأعمال استهلّ قوله بواسطة العامل الحجاجي "إنما" الذي يقوم بدور حجاجي يتمثل في إثبات "بأن الأعمال النيات" ولكل امرئ ما نوى"، وبالتالي تخدم نتيجة ضمنية نفهمها من سياق الكلام وهي"إذا صحت النية، وصفا القلب كان العمل الذي يقدم عليه المؤمن صحيحا واكتسب منه الثواب ، فغاية ما أحدثه العامل الحجاجي "إنما" هو تحويل المضمون الخبري القائم، ليؤدي وظيفة تتلاءم مع الإستراتيجية الحجاجية للمتكلم.[66]

وأيضا موضع آخر ذكر فيه إيجاز الحذف في قوله فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله وأضاف قصدا فهجرته إلى الله ورسوله وقوعا واعتبارا أي ثوابا وأجرا. وكثيرا ما يلجأ المتكلم إلى ظاهرة الحذف؛ لأن المواقف الاتصالية تتطلب ذلك، فقد يستدعي الموقف الاتصالي الحذف، وإما الذكر وهذا لأهميتها في إنتاج المعنى، والتأثير في المتلقي ،فنظرة ابن باديس إلى الحديث كانت تركيزا على بؤرة الاهتمام وهو تحصيل الأجر والثواب بقصدية النية دون التركيز على نوع الهجرة وما فيها من أعمال مصاحبة وذلك ما نستشفه من قوله بأن فعل الشرط وجوابه لم يقعا على معنى واحد[67].وفي عرف التداولية هذا حجاج على

مستوى الحذف [68]ثم ذكر عطف التخصيص بعد التعميم وهو أسلوب الإطناب وإن لم يصرّح به وذلك في موضع لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها.

ب_خروج الخبر عن مقتضى ظاهره: وذلك في حديث عن أبي موسى الأشعريّ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "(المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضا، ثم شبك بين أصابعه)"[69]،حيث لفت ابن باديس إلى أنّ الجملة الأولى خبرية لفظا طلبية معنى أي ليكن المؤمن للمؤمن كالبنيان وجيء بهذه الصّورة تنبيها على أنّ هذا المطلوب هو الشأن الذي لا ينبغي أن يكون سواه،وهذا فيه خروج للخبر عن مقتضى ظاهره. [70] وهو ما يؤكّد على أن البلاغيين العرب كانوا على وعي بظاهرة الاستلزام الحواري حيث أنه يمكن للأفعال اللغوية من أمر ونهي، واستفهام، وطلب أن تخرج من أصلها المباشر إلى معان مضمرة غير مباشرة، وهذا حسب ما يناسب مقام الحوار . ويمكن اختصار المعاني المستلزمة عن الخبر:الخبر،إظهار الضعف، إظهار الأسى،الأمر،الدعاء،المدح،النهي.

ج_التقديم والتأخير:وذلك في قوله صلى الله عليه وسلم :"(نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة، والفراغ)"[71]،حيث ذكر ابن باديس بأنّ مغبون خبر مقدّم لكثير فغرض تقديم المسند إليه مغبون على كثير وهو المسند كان لبيان نقصان حظّ هؤلاء القوم الذين ضيعوا أوقاتهم وصحّتهم باطلا فقد فرطوا في حياتهم التي هي أغلى شيء عند الإنسان.[72]،وتعتبر بلاغة التقديم والتأخير مكونا من مكونات الأساس للنظم، يقتضي كفاية نحوية لغوية عالية، ومعرفة واسعة ودقيقة بمعاني وآثار كل التغييرات والتعديلات الممكنة، ويعتبر البلاغيون هذه الكفاية من دلائل بلاغة العرب وفصاحتهم وقدرتهم على خلخلة نظام اللغة، وانتهاك المألوف من تراكيبها، بالشكل الذي يسمح بتوليد معاني جديدة وممارسة التأثير من خلال الإمكانيات الشعرية التي تسمح بها اللغة ، وأكد "سيبويه"[73] في غير موضع أن التقديم والتأخير من الأساليب التي يلجأ إليها المتكلم للتنويع في الكلام، وتقديم ما هو أكثر أهمية على المهم.ويستخدم التقديم والتأخير ليحقّق انزياحا ذا بعد حجاجيّ.[74]

ثانيًا : من فنون علم البديع.

أ–المقابلة:وذلك في قوله صلى الله عليه وسلم "(عليكم بالصدق؛ فإنَّ الصدق يهدي إلى البر، وإنَّ البرَّ يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجلُ يصدق ويتحرى الصدقَ حتى يُكتب عند الله صدِّيقًا، وإياكم

والكذبَ؛ فإنه يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يُكتب عند الله كذَّابًا)"[75].وعلّق ابن باديس على هذا الحديث تعليقا مستفيضا مفاده أنّ الصّدق صدق اللسان قولا والقلب اعتقادا والجوارح عملا والكذب عكس ذلك[76] وهذه من صور التقابل البديعة في الحديث النّبويّ الشّريف على الرغم من أن جل الدراسات التي قامت على دراسة المحسنات البديعية كانت في- مجملها- تنظر إليه على أنه ظاهرة شكلية زائدة في النص؛ إذ ترك هذا التصور الرائج أثره في التقليل من شأن المحسن البديعي، الذي له دور رئيس في صناعة المعنى ووضوح الدلالة ويستدعيه.فالتقابل أساس حلية النص وتزيينه، وهو أيضا من مقومات التعبير الأساسية، ومن أسباب تحول نظرة الدارسين المعاصرين للطباق والمقابلة فذلك يرجع إلى تيار البنيوية[77]، حين اعتبرته جزءا من بنية النص، فهم يعولون على استنطاق لغة النص، وعلى استخراج عناصرها المتضادة والمتشابهة ثم تصنيفها وتحليلها في ضوء علاقات التضاد والاتفاق فهذه الأساليب من طباق ومقابلة ليست اصطناعا للتحسين، والبديع فقط وإنما أصلا هي أساليب للإبلاغ والتبليغ[78].

وللتقابل الضدي تأثيره الخاص والمتميز، ويتجلى هذا التأثير في أنه يجمع الأضداد فيؤدي إلى إفراز موازنة بين متضادين، ليتبين ما هو حسن وما هو سيء، فيفصله عنه ولإثارة انتباه المتلقي، وتحضير ذهنه ليتقبل الفكرة، حيث يتوخى المتكلم ترتيب الكلام على ما ينبغي، فإذا أتى بأشياء في صدر كلامه أتى بأضدادها في عجزه على الترتيب بحيث يقابل الأول بالأول والثاني بالثاني، لرفع مستوى ما نريد إثباته إلى درجة التصديق به، إذ أن السياق الأول في النص، يعد مدخلا للسياق الثاني الذي سيكون متقابلا مع الأول ويدعمه، لأن المتقابلات يحتاج كل منهما إلى الآخر للتأثير والإثبات، وكما هو معروف أن المعنى قد لا يتضح أحيانا إلا بإيراد نقيضه؛ كما أن التقابل يولد نتيجة ما يرده الخطاب، نظرا لما يحتويه من تضاد[79].

الخاتمة:

خلصت الدّراسة إلى مايلي:

-كانت عناية عبد الحميد بن باديس بالحديث النّبويّ الشّريف منصبّة على توثيق الحديث النّبوي الشّريف سندا ومتنا ،بالإضافة إلى عنايته بالجانب اللّغويّ،و البلاغيّ والبياني حسب حاجة المقام لذلك.

-تذوّق عبد الحميد بن باديس للبيان النّبويّ فهو من المدرسة الذوقية لمحمد عبده التي أحيت درس عبد القاهر الجرجاني بتدريس كتابيه في الأزهر الشّريف.

-خلو شرح عبد الحميد بن باديس للبلاغة النّبوية من التفريعات والتقسيمات المتعدّدة التي تخرج البيان النبويّ عن مقصديته في الإفهام والإيضاح.

-استجابة البلاغة النبوية للمقاربة التداولية لأنّها تحقّق نموذجا خاصّا في التواصل باعتبارها خطاب حقيقة وبلاغتها تجمع بين الإقناع والإمتاع.

-تنوّع الحجاج على مستوى الحديث النبويّ الشّريف خاصّة في بلاغته أكسبه الغاية التعليمية المبنية على الإقناع والإمتاع.

-الحديث النّبويّ الشّريف خطاب تداولي له خصوصيته التّعليمية المعتمدة على العناصر السياقية وهو ما استثمره ابن باديس رحمه الله من خلال شرحه.

-مراعاة الإطار الزّمانيّ والمكانيّ وحال المخاطبين من الوسائل الإقناعية في البلاغة النّبوية القائمة على الحوار والتفاعل بين العاطفة والعقل.

-كان للتشبيه والتمثيل والاستعارة حيز معتبر ومساحة واسعة لابن باديس في شرحه للبلاغة النّبويّة لا من أجل الإمتاع والزخرفة بل على سبيل الإقناع بتمثل الاستدلالات وتجسيد الصور المعنوية ليدرك بها الجزائري وقتها الحقائق الدينية والدنيوية من حوله.

-الرّجوع لطرق علماءنا الأفذاذ بالاعتماد على أسلوب ابن باديس في التّعليم الذي استقاه من المنبع الصافي للبيان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى استراتيجياته الإقناعية من أجل تطوير خطاباتنا اليومية باعتبارها منهجا فعّالا لتحقيق التواصل الاجتماعي.وهو الذي خرّج بهذه الدّروس الجيل الذي فجّر الثورة التحريرية وأعاد للبلاد حرّيتها واستقلالها.

قائمة المصادر والمراجع:

[1] أبو منظور؛ أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي: لسان العرب، مادة (خ ط ب) دار صادر للطباعة والنشر (بيروت، لبنان)، ط1 المجلد2، 1997، ص360.

[2] أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء: معجم مقاييس اللغة، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية (لبنان)، ط1، 2001، ص304.

[3] الآمدي سيف الدين: الإحكام في أصول الأحكام، دار الكتب العلمية (بيروت، لبنان)، ط1، ج1 ، 1985، ص95.

[4] ينظر؛ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب–مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد(بيروت، لبنان)، ط1،2004، ص36.

[5] ميجاني الرويلي وسعد البازغي: دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي (الدار البيضاء، المغرب) ط3 ، 2003 ص 115.

[6] ينظر:حورية بزا ،أحمد واضح،آليات التّحليل التّداولي للخطاب التّعليمي،مقال منشور،مجلة إشكالات في اللّغة والأدب، ع 3،مج 10،س2021م،ص16.

[7] أبو منظور : جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري: لسان العرب،ج12 ، ط1، ص 416-417.

[8] ينظر ؛ ربيعة بابلحاج ملامح تعليمية اللغة عند ابن خلدون من خلال مقدمته، تحت إشراف الأستاذ الدكتور أحمد بلخضر، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، تخصص علوم اللسان العربي والمناهج الحديثة، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر ،2008-2009، ص14.

[9] الكريم غريب وآخرون : معجم علوم التربية، منشورات عالم التربية (الدار البيضاء)، د.ط، د.ت، ص68.

[10] زليخة علال التعليمية المفهوم النشأة والتطور، مجلة الآداب واللغات، جامعة برج بوعريريج، المجلد2، العدد 4 جوان 2016، ص136.

[11] ينظر،حوريا بزا،أحمد واضح،مرجع سابق،ص17.

[12] بوعياد نوارة : دراسة تداولية للخطاب التعليمي الجامعي باللغة العربية مجلة إنسانيات الجزائر المجلد 5، العدد 14/15ماي ديسمبر،2001،ص131.

[13] حوريا بزا،أحمد واضح ،مرجع سابق،ص18.

[14] المرجع نفسه،ص18.

[15] عبد الرحمان التومي: الجامع في ديداكتيك اللغة العربية مفاهيم منهجيات ومقاربات بيداغوجية، مطبعة المعارف الجديدة (الرباط، المغرب)، ط2 ،2016، ص 87.

[16] حوريا بزا،أحمد واضح،مرجع سابق،ص19.

[17] المرجع نفسه،ص19.

[18] ينظر، عيد بلبع السياق و توجيه دلالة النص، (مقدمة في نظرية البلاغة النبوية)، دار الكتب المصرية، (مصر)ط 1، 142 – 2008 ص44-41.

[19] المرجع السابق،ص45.

[20] المرجع نفسه،ص51.

[21] عبد الحميد بن باديس،،مجالس التذكير من حديث البشير النذير،مطبوعات وزارة الشّؤون الدينية،الجزائر 1982م،ص333.

[22] المرجع نفسه ص334.

[23] المرجع نفسه ص334.

[24] المرجع نفسه،ص22-23.

[25] طه عبد الرحمان: فيلسوف مغربي من مواليد 1944 بالجديدة، متخصص في فلسفة اللغة والمنطق والأخلاق، تلقى دراسته الجامعية بالمغرب وفرنسا وحصل على دكتوراه سلك الثالث من جامعة السوربون سنة 1972 ببحث عنوانه: "رسالة في البنى اللغوية لمبحث الوجود"، ثم على دكتوراه الدولة من نفس الجامعة سنة 1985 بأطروحة عنوانها "رسالة في منطق الاستدلال الحجاجي والطبيعي ونماذجه"، أستاذ المنطق وفلسفة اللغة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس بالرباط، ويعد أحد أبرز الفلاسفة والمفكرين في مجال التداول الإسلامي العربي منذ بداية السبعينات من القرن العشرين حاصل على جائزة المغرب في العلوم الإنسانية لسنة 1988 على كتابه أصول الحوار وتجديد علم الكلام، وفي سنة 1995 على كتابه تجيد المنهج في تقويم التراث، من أهم مؤلفاته اللغة والفلسفة 1977، المنطق والنحو الصوري1983، العمل الديني وتجديد العقل 1989 ، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي 1998، حوارات من أجل المستقبل 2000، وغيرها من المؤلفات طه عبد الرحمان: تعددية القيم ما مداها؟ وما حدودها؟، كلية الآداب والعلوم الإنسانية (مراكش، المغرب)، ط1، 2001م، ص64،63،62.

[26] حورية رزقي : خصائص الدرس التداولي في الخطاب التربوي الحديث النبوي أنموذجا، مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر-بسكرة، العددان الرابع عشر والخامس عشر، جانفي-جوان 2014، ص202.

[27] حوريا بزا،أحمد واضح،المرجع السّابق،ص21.

[28] ينظر،حوريا بزا،أحمد واضح،المرجع السّابق،ص21.

[29] بخضرة أمال،الخطاب التعليمي في البلاغة النبوية قراءة تداولية في ضوء نظرية الحجاج، ص131

[30]الجاحظ،البيان والتبيين،تحقيق عبد السلام هارون،دار ومكتبة الهلال،(بيروت،لبنان)،دط،دت، ج1،ص95.

[31] عبد الحميد بن باديس،مجالس التذكير من حديث البشير النذير، 1982م،ص82.

[32] بلقاسم مارس المقام في الخطاب أعمال ندرة فكرية ياها للبحوث والدراسات والنشر والتوزيع، تونس، ط2000، 1،ص11.

[33] المرجع نفسه،ص11.

[34] ينظر،حشاني عباس،خطاب الحجاج والتداولية،دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي،دار عالم الكتب الحديث،(عمان الأردن)،ط1، 2014م،ص184.

[35] ظافر الشّهري،المرجع السّابق،ص224.

[36] بخضرة أمال،الخطاب التعليمي في البلاغة النبوية،ص127.

[37] حشاني عباس،المرجع السّابق،ص120.

[38] المرجع نفسه،ص120.

[39] بخضرة أمال،المرجع السابق،،ص128.

[40] المخطط مقتبس من كتاب عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، ص175 ،بتصرّف.

[41] أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري،صحيح البخاري،المصدر السّابق،ج7،ص216،رقم5419.

[42] عبد الحميد بن باديس،المرجع السابق،ص206،بتصرّف.

[43] بخضر أمال،الخطاب التعليمي في الحديث النّبوي الشّريف،قراءة تداولية في ضوء نظرية الحجاج،ص92.

[44] أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري،المصدر السّابق،ج6،ص439،رقم 4889.

[45] المرجع نفسه ،ص92.

[46] بخضرة أمال،المرجع السّابق،ص278.

[47] أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري،المصدر السّابق،ج3،ص381،رقم 2458.

[48] عبد الحميد بن باديس،المرجع السابق،ص99.

[49] البخاري، ج8،ص28،رقم6016.

[50] عبد الحميد بن باديس،المرجع السابق،ص100.

[51] البخاري، ج4،ص418،رقم 3413.

[52] عبدالحميد بن باديس،المرجع السّابق،ص166.

[53] أبو الحسين مسلم بن الحجاج،صحيح مسلم،تحقيق:محمد فؤاد عبد الباقي،دار إحياء التراث العربي،(بيروت،لبنان)،دط،1955م، ج1،ص226،رقم269.

[54] كمال عزّ الدّين،الحديث النّبوي الشريف من الوجهة البلاغية،داراقرأ،بيروت،لبنان،ط1984،1م،ص224.

[55] عبد الحميد بن باديس،المرجع السابق،146.

[56] أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري،صحيح البخاري، ج7،ص182،رقم 5355.

[57] عبد الحميد بن باديس،المرجع السابق،ص162،بتصرّف.

[58] البخاري، ج7،ص102،رقم5223.

[59] المرجع نفسه،ص178،بتصرف.

[60] بخضرة أمال،المرجع السابق،ص266.

[61] أحمد بن حنبل،مسند الإمام أحمد بن حنبل،تحقيق،شعيب الأرناؤوط،عادل مرشد وآخرون،مؤسّسة الرّسالة(بيروت،لبنان)ط1، 2001م، ج8،ص98،رقم 6154.

[62] عبد الحميد بن باديس،المرجع السّابق،ص275،بتصرّف.

[63] المرجع نفسه،ص275،بتصرّف.

[64] أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري،المصدر السّابق،ج1،ص179،رقم 1.

[65] عبد الحميد بن باديس،المرجع السابق،ص60.بتصرف

[66] الخطاب التعليمي في البلاغة النبوية،بخضرة أمال،أطروحة دكتوراه منشورة،جامعة عبد الحميد بن باديس،مستغانم،2021،2020،ص240-241.

[67] المرجع نفسه،ص61.بتصرف

[68] المرجع نفسه،ص165.

[69] سبق تخريج الحديث.

[70] المرجع نفسه،ص99.بتصرف

[71] أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، ج8،ص243،رقم6420.

[72] عبد الحميد بن باديس،المرجع السّابق،ص138.بتصرف

[73] إبراهيم محمود خليل، السياق وأثره في الدرس اللغوي الحديث دراسة في ضوء علم اللغة الحديث، كلية الدراسات العليا (الأردن)
1990، ص 243.

[74] بخضرة أمال،المرجع السّابق،ص164.

[75] البخاري، ج8،ص70، رقم6098.

[76] عبد الحميد بن باديس، المرجع السابق،ص116.

[77] عمادي عز الدين، أسلوب التقابل في الربع الأخير من القرآن الكريم دراسة أسلوبية (مذكرة لنيل شهادة الماجستير)، إشراف جججج معمر، (باتنة) 2010 2009،ص54.

[78] ظافر الشهري،المرجع السّابق، ص 498.

[79] بخضرة أمال،المرجع السّابق،ص295.